الإنسانية بالطبيعية أنها تشارك فى العلم لأنها تطلب منه وسائل بلوغ غاياتها، فقد يبدو من الصواب أن نرى فى الحياة همزة وصل بين العلم والدين ا. هـ.

ويمضى المؤلف فى حديثه المتنوع ذاكراً أن هناك كثيراً من المفكرين يعترضون على المكانة التى ننسبها إلى الدين فى حياة الإنسان ويقولون كان من المباح للدين - إلى عهد قريب - أن يعمل على تقدم الإنسانية، ولأن الأخلاق كانت إلى حد ما متوقفة عليه، ولكن هذا التضامن بينهما لم يكن إلا عارضا مؤقتا، فقد نشأ الدين والأخلاق تاريخيا ونما كل منهما بعيدا عن صاحبه، بل إن تقدم الأخلاق نفسه هو الذى أرغم الدين أن يتلاءم وإياه وأن يصطنعه، ولكن كما أنهما نشآ فى ابتداء الأمر مستقلين، فكذلك هما فى الوقت الحاضر فى طريق الانفصال، وأصبحت الأخلاق منذ أن تحررت وأضحت شبيهة بغيرها من العلوم كافية، وكافية جدا فى توجيه الإنسانية.

والمؤلف ينشط فى بيان أهمية الدين، ويرد على من يقلل من أهميته، فهو يرى أن الدين يستهدف تحويل الناس والأشياء من الباطن لا من الخارج بالاعتقاد والمثال والمحبة والصلاة، واتصال النفوس، لا بالقهر أو بالسياسة ومن البين أنه ليس على الدين أن يخشى تقدم العلم أو الأخلاق أو النظم.

ويأخذ الأستاذ الدكتور المترجم على المؤلف - ونوافقه على ذلك - انصرافه عن الإسلام تماما، فهو يتحدث عن المسيحية ويقول:

(وهى آخر ما شهدته الإنسانية من الأديان الكبرى)، ويثبت بذلك جهله بالإسلام، وهو خطأ فادح يقع فيه فيلسوف كهذا، فخاتم الديانات الإسلام لا المسيحية، وخاتم الأنبياء والرسل محمد - ﷺ - وليس المسيح - عليه السلام - وخاتم الكتب السماوية هو القرآن الكريم، كيف يغيب عن المؤلف ذلك والإسلام ينتشر بين أكثر من أربعمائة مليون مسلم ينتشرون فى بقاع الأرض وقت صدور الكتاب؟

ومع هذا كله فالكتاب يعد بحثا أصيلا فى تقريب الهوة المصطنعة بين العلم والدين، وفى ذلك تأكيد للحق والصواب، يقول المؤلف: